بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان فجرى بين السلطان محمود
وبينهم حروب اسفر فيها عن ظفره عليهم وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك في
سنة تسع وثمانين وثلثمائة واستقل له الملك وسير له الامام القادر بالله خلعة السلطنة ولقبه بالالقاب
المذكورة في اول ترجمته وتبوأ سرير المملكة وقام بين يديه امراء خراسان سماطين مقيمين برسم الخدمة
ملتزمين حكم الهيبة وجلسهم بعد الاذن العام على مجلس الانس وامر لكل وليّ وخدمهم ولسائر غلمانه
وخاصته وذوي وجوه اوليائه وسائر حاشيته من الخلع والصلات ونفائس الامتعة ما لم يسمع بمثله واسقط
الاموال عن خراجها في كنف ايالته واستوسقت الاعمال في ضمن كفالته وفرض على نفسه في كل عام غزو
الهند ثم انه ملك سجستان في سنة ثلث وتسعين وثلثمائة بدخول قوادها وولاة امورها في طاعته
من غير قتال ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ولم تتل به قط
سورة ولا آية فرحض عنها ادران الشرك وبنى بها مساجد وجوامع وتفصيل ذلك يطول شرحه ولما فتح
بلاد الهند كتب الى الديوان العزيز ببغداد كتابا يذكر فيه ما فتحه الله على يديه من بلاد الهند
وانه كسر الصنم المعروف بسومنات وذكر في كتابه ان هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت ويفعل
ما يشا ويحكم ما يريد وانه اذا شا ابرأ من جميع العلل وربما كان يتفق لشقوتهم ابلال عليل يقصده فيوافقه
طيب الهواء وكثرة الحركة فيزيدون به افتتانا ويقصدونه من اقاصي البلاد رجالا وركبانا ومن لم
يصادف منهم انتعاشا احتج بالذنب وقال انه لم يخلص له الطاعة فلم يستحق منه الاجابة ويزعمون
ان الارواح اذا فارقت الاجسام اجتمعت لديه على مذهب اهل التناسخ فينشيها فيما شا وان مد البحر
وجزره عبادة له على قدر طاقته وكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجونه من كل صقع بعيد ويأتونه من كل فج
عميق ويتحفونه بكل مال نفيس ولم يبق في بلاد الهند والسند على تباعد اقطارها وتفاوت اديانها ملك
ولا سوقة الا وقد تقرب الى هذا الصنم بما عز عليه من امواله وذخائره حتى بلغت اوقافه عشرة
الاف قرية مشهورة في تلك البقاع وامتلأت خزائنه من اصناف الاموال وفي خدمته من البراهمة الف رجل
يخدمونه وثلثمائة رجل يحلقون حجيجه ولحاهم عند الورود عليه وثلثمائة رجل وخمسمائة امراة يغنون
ويرقصون عند بابه ويجري من مال الاوقاف المرصدة له لكل طائفة منهم رزق معلوم وكان بين
المسلمين وبين القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر موصوفة بقلة المياه وصعوبة المسالك واستيلاء
الرمل عليها فطلبها السلطان محمود في ثلاثين الف فارس جريدة مختارة من عدد كثير وانفق عليهم

من الاموال

من الاموال ما لا يحصى فلما وصلوا الى القلعة وجدوها حصنا منيعا وفتحوها في ثلاثة ايام ودخلوا
بيت الصنم وحوله من اصنام الذهب المرصع بانواع الجواهر عدد كثير محيطة بعرشه يزعمون انها الملائكة
واحرق المسلمون الصنم المذكور ووجدوا في اذنه نيفا وثلثين حلقة ذهب فسالهم محمود عن معنى ذلك
فقالوا كل حلقة عبادة الف سنة وكانوا يقولون يعبد العالم ويزعمون ان هذا الصنم يعبد منذ اكثر من ثلثين
الف سنة وكلما عبدوه الف سنة علقوا في اذنه حلقة وبالجملة فان شرح ذلك يطول وقد جمع سيرته ابو
النصر محمد بن عبد الجبار العتبي الفاضل في كتاب سماه اليميني وهو مشهور وذكر في اوله ان السلطان المذكور
ملك الشرق بحذافيره والصدر من العالم وبدية لاستظام الاقليم الرابع مما يليه من الثالث والخامس في
حوزة ملكه وحصولها كلها الفسيحة وولاتها العريضة في قبضة ملكه ومصير امرائها وذوي الالقاب
الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته واستعبادهم من افات الزمان بظل ولايته ورعايته واعتراف
ملوك الارض لعزته وارتياعهم من فائض هيبته واحترازهم على تقاذف الديار وتخاطر الاغوار
من بطش ركضته واستخفافه الهند تحت حنوها عدد كره واستعزازهم مهب الرياح من ارضه وقد كان
لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام واستغنى عن الاشارة بالافهام مشغوف
الشأن بالذكر والقرآن مستغرق الفخر بالسيف والسنان ممدود الهمة الى معالي الامور معقود الا
سياسة الجمهور له مع الاتراب جد وجد يستكمل بالهزل ما لم يتعلم حتى يقلبه حذرا ويحوز لما يحرز حي
بدنه قسرا وجهرا ه وذكر امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك الجويني المقدم ذكره في كتابه الذي سماه
مغيث الخلق في اختيار الاحق ان السلطان محمود المذكور كان على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه
وكان مولعا بعلم الحديث وكانوا يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع وكان يستفسر الاحاديث
فوجد اكثرها موافقا لمذهب الشافعي رضي الله عنه فوقع في خلده حكمه فجمع الفقهاء من الفريقين في مرو
والتمس منهم الكلام في ترجيح احد المذهبين فوقع الاتفاق على ان يصلوا بين يديه ركعتين على مذهب
الشافعي رضي الله عنه وعلى مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه لينظر فيه السلطان ويتفكر ويختار ما هو احسن
فصلى القفال المروزي وقد تقدم ذكره بطهارة مسبغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال
القبلة واتى بالاركان والهيئات والسنن والاداب والفرائض على وجه الكمال والتمام وكانت صلاة لا يجوز
الشافعي رضي الله عنه دونها ثم صلى ركعتين على ما يجوز ابو حنيفة رضي الله عنه فلبس جلد كلب مدبوغا ولطخ ربعه
بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان في صميم الصيف في المفازة واجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوءه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)